تحولات

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

النشاط المناخي في العراق واليمن
مواجهة التحديات والتكيف معها

عصام القيسي
مهنّد الحاج علي

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

النشاط المناخي في العراق واليمن: مواجهة التحديات والتكيف معها

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط /قسم الترجمة والتحرير

الاصدار / ترجمات

الموضوع / الطاقة والمناخ والبيئة

عصام القيسي / كاتب وباحث يمني

مهنّد الحاج علي / نائب مديرة المركز لشؤون الأبحاث في مركز مالكوم كير-كارنيغي للشرق الأوسط في بيروت، يركّز عمله على السياسات الجغرافية المتغيّرة والجماعات الإسلامية عقب الانتفاضات العربية.

ترجمة / ميلاد النوفلي

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2025

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

ملاحظة: نشرت هذه الدراسة بتاريخ 28 آب/أغسطس 2025 على موقع مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي الالكتروني

ترجمة: ميلاد النوفلي

في الشرق الأوسط، غالباً ما يرتبط النشاط المناخي بتصاعد المظالم العامة إزاء ما يُنظر إليه بوصفه إخفاقات في الحوكمة، فضلاً عن الصراعات الإقليمية والوطنية المستمرة.[1] ولا يُعَدّ العراق واليمن من أكثر البلدان هشاشة أمام التغيّر المناخي فحسب، والمتفاقمة آثارُه بسبب ما يبدو أنه فساد بنيوي متجذّر في الدولة، بل تحوّلا أيضاً إلى ساحات رئيسية للمواجهة الإقليمية الجارية بين إسرائيل ومحور إيران منذ تشرين الأول/أكتوبر 2023.

ففي العراق مثلاً، أفضت الاشتباكات بين الفصائل المدعومة من إيران والقوات الأميركية والإسرائيلية-وهي انعكاس لعدم الاستقرار الأوسع ولإخفاقات الحوكمة-إلى تمكين تركيا وإيران من استغلال الموارد المائية للبلاد.[2] أمّا في اليمن، فقد عطّلت جماعة أنصار الله (المعروفة بالحركة الحوثية) حركة الملاحة الدولية في البحر الأحمر وهاجمت إسرائيل، مما عمّق عزلة البلاد وزاد هشاشتها الأمنية. ويواجه البلدان أيضاً واقع التشرذم السياسي، إذ يضمّ العراق ضمن بنيته الفيدرالية إقليماً شبه مستقل، فيما يبقى اليمن منقسماً بين فصائل متناحرة.

إن استمرار الصراع المسلّح والانقسام السياسي يوجّهان تجربة البلدين مع التغيّر المناخي، كما يشكّلان استجابات المواطنين له. ويواجه العراق

1. " تغير المناخ»، مركز إدارة مخاطر الكوارث التابع للمفوضية الأوروبية، INFORM، تشرين الأول/أكتوبر 2022،
https://drmkc.jrc.ec.europa.eu/inform-index/INFORM-Climate-Change
2. "أزمة المياه في العراق: سدٌّ من الجيران، وخذلانٌ من القادة»، تشاتام هاوس، 13 آب/أغسطس 2025،
https://www.chathamhouse.org/2025/08/iraqs-water-crisis-dammed-neighbours-failed-leaders

واليمن أزمات بيئية حادّة تشمل ارتفاعاً شديداً في درجات الحرارة، وتناقصاً في مصادر المياه، وانحساراً في الزراعة. غير أنّ التغيّر المناخي في السياق الراهن لا يُعَدّ تحدّياً منفصلاً، بل يتقاطع مع إخفاقات الحوكمة المتراكمة والتحوّلات الجيوسياسية غير المواتية. فقد أخفقت الحكومات المتعاقبة في إدارة الموارد الطبيعية، والاستثمار في البنى التحتية المستدامة، وحماية المجتمعات الهشّة. وفي كلا البلدين، أصبح التغيّر المناخي متداخلاً مع حالة السخط الشعبي إزاء الفساد المُتصوَّر، والتهميش، وتآكل شرعية الدولة.

وفي مواجهة ذلك، برز النشاط المناخي في العراق واليمن ليس كأداة للمرافعة البيئية فحسب، بل أيضاً كوسيلة للتعبير السياسي في ظلّ الصراع والهيمنة، ومع تضييق المجال المدني. وغالباً ما يتضاعف الحراك البيئي في البلدين ليشكّل مطلباً بالمحاسبة والإصلاح، حتى عندما يُطرح ضمن أُطُر تقنية أو محلية. ويسلك الناشطون والمواطنون دروباً محفوفة بالمخاطر (بين القمع والمراقبة أو انهيار المؤسسات)، ومع ذلك يواصلون التنظيم والعمل. ففي العراق، ربطت فئات شبابية ومنظمات مجتمع مدني بين القضايا البيئية والحركات الاحتجاجية الأوسع التي تتحدّى فساد الدولة وإفلات الميليشيات من العقاب. أمّا في اليمن، حيث انهارت الحوكمة الرسمية إلى حدّ كبير، فإن المبادرات البيئية تُواصل عبر شبكات غير رسمية، وجهود التثقيف المجتمعي، والإغاثة المحلية. وتعكس هذه الحركات تعاظم الصلة بين البقاء البيئي والصوت السياسي.

إن دراسة النشاط المناخي في هذين البلدين الهشّين تتيح فهماً أعمق لكيفية تشكّل السياسات البيئية في ظلّ النزاع والحوكمة المفككة. فبدلاً من أن يكون هذا النشاط هامشياً أو لا سياسيّاً، فإنه يمثّل جزءاً من نضالات أوسع من أجل الكرامة، وسبل العيش، والمشاركة الديمقراطية-وهي نضالات باتت تشكّل عنصراً محورياً لمستقبل الجنوب العالمي. وعندما

يتحدّث الناشطون عن التغيّر المناخي، فإنهم يسلّطون الضوء على عنصر بارز من الاستمرارية مع النضالات الجارية ضد الحوكمة العاجزة.

العراق: النضالات، الاستراتيجيات، وقمع الدولة

من جفاف نهري دجلة والفرات إلى اشتداد موجات الحرّ وتوغّل المياه المالحة في الجنوب، يواجه العراق أزمة بيئية متصاعدة تتقاطع مع الفساد القائم، وسوء الحوكمة، والنزوح، والقمع العنيف. ففي محافظة البصرة الجنوبية، على سبيل المثال، دمّرت زيادة الملوحة بساتين النخيل والحمضيات التي كانت مزدهرة في السابق. وفي محافظة ذي قار المجاورة، أدى التلاشي التدريجي للأهوار إلى تقويض سبل العيش التقليدية مثل صيد الأسماك وتربية الجواميس.[3] وقد نزح ما يقارب 170 ألف شخص داخل البلاد لأسباب مرتبطة بالمناخ حتى تشرين الأول/أكتوبر 2024، فيما تُكلّف عملية التصحر العراق نحو 250 كيلومتراً مربعاً من الأراضي الصالحة للزراعة سنوياً.[4]

استجابةً لذلك، بدأ ناشطون بيئيون من خلفيات متنوّعة بالتنظيم في أنحاء العراق، بمن فيهم أشخاص قد لا يعرّفون أنفسهم بالضرورة كناشطين بيئيين. وتشمل هذه الفئات: قدامى المشاركين في انتفاضة تشرين 2019 (التي تحدّت الفساد الراسخ والسياسة الطائفية

3. محمد عطية، «الجفاف في العراق يُهدد الجاموس وسبل عيش المزارعين»، رويترز، 30 نيسان/أبريل 2025،
https://www.reuters.com/business/environment/droughts-iraq-endanger-buffalo-farmers-livelihoods-2025-04-30

4. المنظمة الدولية للهجرة، فهم احتياجات ومواطن ضعف المهاجرين بسبب تغير المناخ في العراق: تقييم قابلية التأثر بتغير المناخ، حزيران/يونيو 2025،
https://iraqdtm.iom.int/files/Climate/2025619044711_IOM_DTM_CVA_June-2025.pdf
و«الحزام الأخضر» في العراق مُهمَل في ظل تعثر جهود مكافحة التغير المناخي»، عرب نيوز عبر وكالة فرانس برس، 20 نيسان/أبريل 2022،
https://www.arabnews.com/node/2066801/amp

والتأثيرات الأجنبية)،[5] ومنظمات شبابية غير حكومية، وعلماء، وحماة التراث، ومنظمي المبادرات المجتمعية. وعلى الرغم من عملهم في بيئة قمعية عميقة، فقد أصبحوا من أكثر الأصوات إصراراً في الدفاع عن العدالة البيئية والتكيّف المناخي في العراق. ويتمحور مطلب رئيسي في الاحتجاجات التي يقودها هؤلاء حول إعادة الاعتبار للحوكمة كأولوية وطنية، ولا سيما في مجالات الخدمات العامة والاستجابة المناخية، بدلاً من الاستمرار في إعطاء الأولوية للتنافس الطائفي والخطابات المعادية للإمبريالية التي غذّتها بدرجة كبيرة التأثيرات الإيرانية في العراق.

من بين أبرز المنظمات المعروفة منظمة «طبيعة العراق"، التي تأسست عام 2003 بهدف حماية النظم البيئية الفريدة في البلاد، ولا سيما أهوار بلاد ما بين النهرين. كما تُعَدّ منظمة «حماة دجلة" من المبادرات الشبابية البارزة، إذ تركز على حماية أنهار العراق الحيوية من التلوث، والإفراط في الاستخدام، والتهديدات التي تطال البنية التحتية.[6] وإلى جانب ذلك، حشدت المبادرات الشعبية في جنوب العراق جهودها للفت الانتباه إلى سوء إدارة الموارد المائية، وحرق الغاز في مواقع إنتاج النفط، وغياب الضوابط الصارمة لمكافحة التلوث. وقد طالبت هذه المجموعات مجتمعةً بتحسين التشريعات البيئية، ووقف حرق الغاز، واعتماد سياسات مائية أكثر إنصافاً وشفافية.

العديد من ناشطي المناخ اليوم كانوا من المشاركين الفاعلين في احتجاجات 2019 ضد الفساد البنيوي، والبطالة، وغياب الخدمات الأساسية. هؤلاء الشباب العراقيون، وقد أصابهم الإحباط من فشل

5. حارث حسن، «احتجاجات العراق: حركة اجتماعية جديدة تتحدى السلطة الطائفية»، ميدل إيست آي، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2019، https://carnegieendowment.org/posts/2019/11/iraq-protests-a-new-social-movement-is-challenging-sectarian-power?lang=en

6. "الصفحة الرئيسية»، جمعية حماة دجلة، تاريخ الوصول: 10 آب/أغسطس 2025، https://humatdijlah.org/en/main

الإصلاحات السياسية، حوّلوا اهتمامهم إلى القضايا المناخية، باعتبار الانهيار البيئي مظهراً لإخفاقات الحوكمة الأعمق في العراق. فبالنسبة لهم، الهواء النقي، والمياه الصالحة للشرب، والحماية من موجات الحرّ الشديد ليست مجرد أهداف بيئية، بل حقوق أساسية وشروط مسبقة للكرامة الإنسانية.

وقد مثّل عام 2018 لحظة مفصلية جسّدت هذا التلاقي بين المطالب البيئية والسياسية، حين اندلعت احتجاجات شبابية في البصرة إثر انهيار منظومة المياه. فقد جعل ارتفاع الملوحة والتلوث في نهر شط العرب المياه غير صالحة للشرب، مما أدى إلى تفشّي الأمراض. وسرعان ما توسّعت الاحتجاجات لتشمل مطالب أوسع بالمحاسبة السياسية، وبشدّةٍ تنبأت بانتفاضة تشرين في العام التالي. لقد شكّلت تلك اللحظة تبلور التعبئة المناخية بوصفها شكلاً من أشكال المقاومة السياسية.[7]

ولم تتوقف التعبئة الشعبية حول المظالم المناخية منذ ذلك الحين. ففي أيار/مايو 2025، على سبيل المثال، صعّد سكان قضاء المدينة في شمال البصرة احتجاجاتهم على غياب المياه الصالحة للشرب وتدهور الظروف البيئية عبر إغلاق مبنى المجلس المحلي. وأشار المتظاهرون إلى التلوث الناتج عن عمليات النفط القريبة، وتأخر تنفيذ مشاريع خدمية مثل محطة تحلية وُعِد بها سابقاً، وإخفاق السلطات المحلية والاتحادية في الاستجابة للمخاطر الصحية. وقد أعادت قوات الأمن فتح المبنى بالقوة، لكن قادة الاحتجاج حذّروا من استمرار الاضطرابات ما لم تُلبَّ مطالبهم. وكما نقلت وكالة شفق نيوز عن أحد السكان: «المدينة تغذّي ثروة العراق لكنها لا تتلقى سوى الإهمال».[8] وقد عكس هذا الاحتجاج

7. "العراق: أزمة مياه في البصرة"، هيومن رايتس ووتش، 22 تموز/يوليو 2019، https://www.hrw.org/news/2019/07/22/iraq-water-crisis-basra

8. "المطالبة بمياه نظيفة: تصاعد التوترات في البصرة مع تفاقم الوضع"، شفق نيوز، 2 أيار/مايو 2025، https://shafaq.com/en/Iraq/Clean-water-now-Basra-residents-rally-against-pollution-government-failure

حالة السخط المستمرة إزاء الظلم البيئي، وكرّر أنماط التعبئة السابقة في البصرة والأهوار الجنوبية، مؤكداً كيف تظل المظالم المناخية قادرة على تحفيز الفعل المدني.

مع مرور السنين، اتجه العديد من النشطاء العراقيين إلى أشكال أكثر هدوءاً من المناصرة؛ إذ ينظمون حملات لإعادة التشجير، ويرصدون التلوث، ويروون قصصاً شخصية من المجتمعات المتضررة، على أمل توثيق الواقع على الأقل. وقد أصبحت منصات الإعلام أدوات أساسية، خصوصاً في نقل أصوات سكان جنوب العراق المهمَّشين. وتُنشر على نطاق واسع قصص المزارعين والصيادين وسكان الأهوار النازحين، الأمر الذي يرفع مستوى الوعي داخل البلاد وخارجها.

في البصرة، ركّز النشطاء الأفراد على تبادل المعرفة، وتعزيز الوعي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وبناء شبكات تضم فاعلين في المجتمع المدني وأكاديميين ونشطاء محليين.[9] وتُوفّر هذه الشبكات أشكالاً من التحالف الوقائي في سياق يُعرّض فيه النشاط للتدقيق السياسي والمخاطر الشخصية. كما يقود الفنانون التشكيليون مبادرات ثقافية توثّق التدهور البيئي من خلال السرد والمعارض الفنية،[10] لتشكّل بمهارة وعياً عاماً بالأزمة البيئية في العراق. وبهذه الطريقة، نسج النشطاء

9. حيدر الشاكري، «رواد التغيير الشباب في العراق»، تشاتام هاوس، 4 تشرين الأول/أكتوبر 2024،
https://www.chathamhouse.org/2024/10/iraqs-young-agents-change

10. علي محمود خضر، «مثقفون عراقيون: التغير المناخي تهديد وجودي»، المجلة، 6 آب/أغسطس 2023،
https://www.majalla.com/node/296986/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D9%88%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9/%D9%85%D8%AB%D9%82%D9%81%D9%88%D9%86-%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D9%91%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%AE%D9%8A-%D8%AA%D9%87%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D9%88%D8%AC%D9%88-%D8%AF%D9%8A

سردية قوية تربط بين التدهور البيئي والانهيار الاقتصادي والنزوح وانتهاكات الحقوق.[11]

إن بروز هذا الشكل الأكثر هدوءاً من المناصرة يعود، جزئياً على الأقل، إلى أن النشاط المناخي في العراق يفرض أثماناً باهظة على كثيرين. فقد أدّت حملة القمع التي أعقبت احتجاجات تشرين إلى تقليص المساحة المدنية على نحوٍ ملحوظ، بينما تنظر السلطات إلى نشطاء المناخ - ولا سيما أولئك الذين برزوا سياسياً في عام 2019 - بعين الريبة.[12] ويتفاقم هذا الوضع مع تصوّر النخب السياسية والجماعات النافذة في العراق أن دعاة حماية البيئة يُشكّلون تهديداً لمصالحهم، خاصةً عندما تتحدى مطالبهم التنمية المعتمدة على النفط أو تكشف سوء إدارة الدولة. ونتيجة لذلك، يواجه العديد من نشطاء المناخ القمع والتهديدات وأشكالاً متصاعدة من العنف.

ومن الأمثلة على ذلك، اعتُقل سلمان خير الله، الشريك المؤسس لمجموعة حماة دجلة، وتعرّض للإخفاء القسري خلال احتجاجات تشرين في كانون الأول/ديسمبر 2019. ورغم إطلاق سراحه لاحقاً، فإن التهديدات المستمرة أجبرته على مغادرة البلاد.[13] وبالمثل، اختُطف جاسم الأسدي، الخبير البيئي المعروف بعمله في حماية أهوار جنوب العراق، بالقرب من بغداد في شباط/فبراير 2023 على يد مسلّحين

11. مها ياسين، «النشاط المناخي في العراق: مشروعٌ محفوفٌ بالمخاطر»، معهد كلينجندايل، كانون الأول/ديسمبر 2021،
https://www.planetarysecurityinitiative.org/sites/default/files/2022-01/idee215%20VERZET%20%E2%80%94%20column%20Maha%20Yassin.pdf

12. مها ياسين، «مساحة النشاط المناخي العراقي ضيقةٌ بشكلٍ خطير، ومتقلصةٌ»، مؤسسة سينشري، 30 آب/أغسطس 2023،
https://tcf.org/content/commentary/the-space-for-iraqi-climate-activism-is-dangerously-small-and-shrinking

13. "الاحتجاز التعسفي لعمر العمري وسلمان خيرالله»، فرونت لاين ديفندرز، تاريخ الوصول: 10 آب/أغسطس 2025،
https://www.frontlinedefenders.org/en/case/arbitrary-detention-omar-al-amri-and-salman-khairallah

مجهولين. وقد احتُجز لمدة أسبوعين، وأفاد بتعرّضه لتعذيب شديد، بما في ذلك الضرب والصعق بالكهرباء، في محاولة على الأرجح لإسكاته.[14]

ويُعَدّ التحرّش القانوني أيضاً أمراً شائعاً؛ فكثيراً ما يُتّهم الناشطون بارتباطهم بجهات أجنبية أو بتلقّي دعم من ما يُسمى بـ«أجندات خارجية»، وهي اتهامات ذات تبعات خطيرة في العراق.[15] وقد واجه رعد حبيب الأسدي، رئيس منظمة الچبايش لحماية الأهوار، عقبات قانونية وبيروقراطية متكرّرة أثناء محاولاته لتنظيم حملات بيئية.[16] وغالباً ما تُغلق فعاليات المجموعات الناشطة، أو يُحظر تمويلها، أو يخضع أعضاؤها للمراقبة والتحرّش من كيانات مرتبطة بالدولة.[17] ومن دون حماية مؤسسية أو مصادر تمويل مستدامة، تكافح حتى المنظمات الراسخة للاستمرار في مشاريع طويلة الأمد.

ومع ذلك، يستمر هذا العمل على المستويين الفردي والتنظيمي، إذ توفر الدعوة البيئية فرصة نادرة لانتزاع مساحة مدنية في نظام ذي طبيعة استبدادية.[18] ولأن المسؤولين ينظرون أحياناً إلى تغيّر المناخ

14. "الإفراج عن المدافع عن حقوق الإنسان البيئي جاسم الأسدي من قِبل خاطفيه بعد أسبوعين»، فرونت لاين ديفندرز، 15 شباط/فبراير 2023،
https://www.frontlinedefenders.org/en/case/environmental-human-rights-defender-jassim-al-asadi-released-after-2-weeks
15. طيف الخضري، «مواجهة تحديات العمل البيئي في عراقٍ يزداد استبدادًا»، مبادرة الإصلاح العربي، 6 شباط/فبراير 2025،
https://www.arab-reform.net/publication/navigating-the-challenges-of-environmentalism-in-an-increasingly-authoritarian-iraq
16. "العراق: نشطاء بيئيون يواجهون الانتقام»، هيومن رايتس ووتش، 23 شباط/فبراير 2023،
https://www.hrw.org/news/2023/02/23/iraq-environmentalists-face-retaliation
17. المرجع نفسه.
18. حيدر الشاكري، «بطاقة بريدية من بغداد: كيف يُحوّل نشطاء المناخ «حلم تشرين» إلى واقع»، تشاتام هاوس، 9 كانون الأول/ديسمبر 2024،
https://www.chathamhouse.org/publications/the-world-today/2024-12/postcard-baghdad-how-climate-activists-are-turning-tishreen

باعتباره قضية فنية لا سياسية، فإن ذلك يتيح مجالاً محدوداً للتعاون بين النشطاء والحكومة. وقد استفاد النشطاء من هذا الغموض للدفع نحو إصلاحات - مهما كانت محدودة - والتواصل مع الهيئات الدولية بطرق تضغط على الدولة العراقية من دون إثارة مواجهة مباشرة. ويوفّر هذا التعاون للنشطاء نوعاً من درع الشرعية، على النحو الذي وصفه أوسكار بيرجلوند في مقاله ضمن هذه السلسلة.

تشمل التكتيكات المتبعة الضغط من أجل معايير أكثر صرامة للانبعاثات، والمطالبة بإدماج حماية البيئة في خطط التنمية، والسعي إلى توفير حماية دولية للمناطق ذات الأهمية البيئية، مثل وضع «اليونسكو» للتراث. فعلى سبيل المثال، لم تُعَدّ الحملة الرامية إلى ضمان حماية عالمية لأهوار جنوب العراق مجرّد جهد بيئي، بل مثّلت أيضاً وسيلة لمساءلة الحكومة العراقية عن التدهور البيئي.[19]

إضافة إلى ذلك، يُشير إطلاق الفريق الوطني للشباب من أجل المناخ في العراق عام 2014، تحت إشراف المجلس الأعلى للشباب، إلى بروز منصة ناشئة تحظى بدعم رسمي محدود، وتهدف إلى إشراك الشباب في البحث عن حلول للتغيّر المناخي.[20]

ومع ذلك، ما تزال التحديات البنيوية الراسخة تقيّد تأثير هذه الأشكال التدريجية من النشاط. فالنظام السياسي القائم على «المحاصصة»،[21]

19. "أهوار العراق مُدرجة على قائمة اليونسكو للتراث العالمي"، ويتلاندز إنترناشونال، 25 تموز/يوليو 2016،
https://www.wetlands.org/iraqi-marshlands-named-a-unesco-world-heritage-site

20. "انطلاق المؤتمر الوطني لفريق الشباب المعني بتغير المناخ"، وكالة الأنباء العراقية، 7 حزيران/يونيو 2024،
https://ina.iq/ar/local/212085--.html

21. علي المولوي، «هل يُعيق نظام المحاصصة الطائفية في العراق تقدم البلاد؟»، الجزيرة، 21 آذار/مارس 2023،
https://www.aljazeera.com/news/2023/3/21/is-iraqs-sectarian-quota-system-holding-the-country-back

الذي يوزّع السلطة على أسس طائفية ونخبوية خارج المؤسسات الرسمية، غالباً ما يهمّش المبادرات الشبابية ومنظمات المجتمع المدني، مما يجعل الانخراط السياسي المباشر محفوفاً بالمخاطر. كما تُعيق اللامبالاة السياسية، وندرة الموارد، وأحياناً الترهيب، هذه الجهود، مبرزةً صعوبة السياق الذي تعمل فيه الحملات الهادئة. إن توفير الدعم السياسي من أفراد إصلاحيين من شأنه أن يعزّز فرص النجاح المؤسسي. ويُعَدّ الحفاظ على مساحات يمكن للشباب الناشطين والإصلاحيين داخل الحكومة أن يبنوا فيها الثقة ويتصدّوا بشكل مشترك للعقبات البنيوية أمراً أساسياً، مثلما هو حال استقلالية ومسؤولية المنصات الشبابية والمجتمعية.

إن الوضع الراهن في العراق يجسّد الكيفية التي يمكن للنشاط المناخي أن يعمل، من جهة، كشرارة، ومن جهة أخرى، كقناة للتفاعل المدني الأوسع. فمن ناحية، قد يكون عملاً شديد المخاطر، ومن ناحية أخرى، فإنه يوفّر فرصة نادرة للشباب العراقي لصياغة رؤى تتعلق بالكرامة، والحقوق، ومستقبل قابل للعيش. سواء عبر الانخراط المؤسسي، أو المرافعة الهادئة، أو الاحتجاج العلني، فقد وجد ناشطو المناخ في العراق طرقاً للتكيّف، والصمود، ومواصلة عملهم في مواجهة الشدائد العميقة.

اليمن: الحراك البيئي في مواجهة الانهيار والصراع

تواجه اليمن واحدة من أشدّ الأزمات المناخية في العالم. وتتجلّى آثار تغيّر المناخ في البلاد عبر موجات جفاف متزايدة القسوة، وعواصف عنيفة، وتصحر، وشحّ مزمن في المياه، وهي عوامل تفاقمت بفعل عقد من الحرب وانهيار الدولة. يحصل اليمني العادي اليوم على 74 متراً مكعباً فقط من المياه سنوياً (أقل بكثير من عتبة الندرة المطلقة)، ما يجعل اليمن الدولة الأكثر انعداماً للأمن المائي في العالم.[22] كما ترتفع

22. ألبرت مارتينيز، سعاد الصالحي، لورا جيريس، سينيد باري، وألينا فيهوف، «أصوات من اليمن – كيف يُمكن للحوارات البيئية أن تُسهم في الصمود والسلام»، الدبلوماسية

درجات الحرارة بمعدل يساوي ضعفي المتوسط العالمي،[23] في وقت ازدادت فيه الاضطرابات في أنماط هطول الأمطار الموسمية. ففي تموز/يوليو وآب/أغسطس 2024، تسببت الفيضانات العارمة في تدمير أو إلحاق الضرر بعشرات الآلاف من المساكن، ما أثّر على أكثر من 60 ألف شخص. وفي محافظة الحُديْدة وحدها سُجّلت إحدى وثلاثون حالة وفاة، فيما شهدت محافظة المحويت خسائر في المنازل والمحاصيل والثروة الحيوانية، إلى جانب تدمير الطرق والجسور.[24]

يرتبط هذا التدهور البيئي ارتباطاً وثيقاً بالاختلال السياسي. فالبنية التحتية المائية الهشة أصلاً والمتضررة من الحرب لم تعد قادرة على تلبية احتياجات السكان. أكثر من نصف أراضي اليمن مصنَّفة كصحراء، وقد أدت عقود من الإفراط في استخراج المياه الجوفية (بما في ذلك زراعة القات)، وإزالة الغابات، وضعف اللوائح التنظيمية، إلى تفاقم التصحر وشحّ المياه.[25] ومع أن الزراعة والرعي يشكّلان العمود الفقري لسبل العيش في المناطق الريفية، فإن التدهور البيئي يزيد من حدّة

المناخية، 7 شباط/فبراير 2025،
https://climate-diplomacy.org/magazine/environment/voices-yemen-how-environmental-dialogues-can-contribute-resilience-and-peace

23. "الملف المناخي لليمن»، مركز الصليب الأحمر والهلال الأحمر للمناخ، 29 حزيران/يونيو 2024،
https://www.climatecentre.org/wp-content/uploads/RCCC-ICRC-Country-profiles-Yemen_2024_final.pdf
و»القدرة على التكيف مع تغير المناخ مفتاح التحولات في مجال الطاقة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا»، الوكالة الدولية للطاقة، 3 تموز/يوليو 2023،
https://www.iea.org/commentaries/climate-resilience-is-key-to-energy-transitions-in-the-middle-east-and-north-africa

24. "تحديث عاجل رقم 1: الأمطار الغزيرة والفيضانات المفاجئة في اليمن»، صندوق الأمم المتحدة للسكان، تموز/يوليو 2024،
https://www.unfpa.org/sites/default/files/resource-pdf/Flash%20Update%20-%20Yemen%20floods%20-%20Aug%202024.pdf

25. "جمهورية اليمن: الاستراتيجية الوطنية للتنوع البيولوجي وخطة العمل الثانية»، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2017،
https://faolex.fao.org/docs/pdf/yem176431.pdf

انعدام الأمن الغذائي والهشاشة الاقتصادية.[26]

استجاب الحراك المناخي المحلي لهذه الأزمات المتداخلة، المتمثلة في ضغوط المناخ وانهيار البنية التحتية وتفكك المؤسسات. وقد ساهم المتطوعون الشباب ومنظمات المجتمع المدني والباحثون البيئيون والصحفيون والمعلمون في ملء الفراغ الذي خلّفته الدولة، مطوّرين حلولاً شعبية وموجّهين تحذيرات بشأن هشاشة اليمن المناخية.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك الاستجابة لفيضانات عدن عام 2020، فعقب جولات متتالية من الفيضانات التي دمرت حي صيرة، نظمت مجموعات شبابية عمليات الإغاثة الخاصة بها في ظل عجز الحكومة عن تقديم دعم واسع النطاق. (تعمل هيئة الدفاع المدني في عدن بعدد محدود من مركبات الإطفاء، ولا تملك القدرة على تنفيذ عمليات الإخلاء). ونظراً لغياب الموارد العامة، جمعت هذه المجموعات تبرعات من المحسنين المحليين لاستئجار شاحنات شفط لإزالة مياه الفيضانات.[27]

وخلال الفترة نفسها، واجه السكان الغاضبون المسؤولين بسبب تكرار أضرار الفيضانات وفشل السلطات في استعادة المياه أو الكهرباء. وقد أوضحت هذه التفاعلات حقيقة مفادها أن زيادة حدة الصدمات المناخية تؤدي إلى تصاعد الإحباط العام تجاه الدولة غير القادرة أو غير الراغبة، في الاستجابة.

إن غياب العمل المناخي لا يعود إلى الحرب وحدها، بل يعكس أيضاً خللاً بنيوياً عميقاً. فاليمن منقسم بين الحوثيين في صنعاء، والحكومة

26. سحر محمد، «الأزمة البيئية في اليمن: التداعيات المنسية لصراع مستمر»، مبادرة الإصلاح العربي، 15 حزيران/يونيو 2023،
https://www.arab-reform.net/publication/yemens-environmental-crisis-the-forgotten-fallout-of-an-enduring-conflict/?tztc=1

27. ياسمين الإرياني، «نشرة البيئة اليمنية: كيف يُفاقم ضعف التخطيط الحضري وتغير المناخ والحرب الفيضانات والكوارث الطبيعية»، مركز صنعاء، 14 تموز/يوليو 2020،
https://sanaacenter.org/publications/analysis/10346

المعترف بها دولياً ومقرها عدن، والمجلس الانتقالي الجنوبي، وقوى أخرى مدعومة خليجياً، بما في ذلك الميليشيات السلفية. ولا تمتلك الحكومة المعترف بها دولياً ولا سلطات الحوثيين القدرة أو الإرادة السياسية لوضع أو تطبيق سياسات خضراء. ويستمر استنزاف المياه الجوفية، والصيد الجائر، وتدهور الأراضي من دون رادع. كما أن القوانين البيئية قديمة وغير مطبقة، ولا توجد أي جهة قادرة على تنسيق استجابة وطنية. ونتيجة لذلك، اضطر المواطنون والناشطون إلى التدخل، مقدّمين حلولاً عملية وانتقادات سياسية في آن واحد.[28]

في محافظة المهرة، كشف الدمار الذي أحدثه الإعصار المداري تيج عام 2023 عن هذا الفراغ المؤسسي. فقد حشدت سلطنة عُمان المجاورة الملاجئ وعمليات الإجلاء مسبقاً،[29] بينما اعتمدت الاستجابة في المهرة بشكل كبير على الشركاء الإنسانيين والسلطات المحلية في ظل محدودية القدرات الوطنية.[30] نزح حوالي 22 ألف شخص، ودمرت الفيضانات البنية التحتية والثروة الحيوانية والمحاصيل. وفي ظل غياب خطط التأهب للكوارث، تُركت المجتمعات المحلية لتواجه مصيرها بمفردها.[31] وبالنسبة للناشطين والمراقبين المحليين، لم تكن هذه الحادثة مجرد حدث مناخي، بل مثلت أيضاً دليلاً على العواقب الوخيمة لتفكك الحكم وقلة الموارد في اليمن.

28. المرجع نفسه
29. "عُمان في حالة تأهب قصوى تحسبًا لإعصار تيج مع فتح الملاجئ وإغلاق المدارس"، ذا ناشيونال، 23 تشرين الأول/أكتوبر 2023،
https://www.thenationalnews.com/gulf-news/2023/10/23/oman-on-high-alert-over-cyclone-tej-as-shelters-open-and-schools-close
30. "اليمن: تحديث عاجل رقم 1 – إعصار تيج"، مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة، 24 تشرين الأول/أكتوبر 2023،
https://www.unocha.org/publications/report/yemen/yemen-flash-update-1-cyclone-tej-24-october-2023-enar
31. "اليمن – تنبيه عاجل | تحديث حول إعصار تيج (23–25 تشرين الأول/أكتوبر 2023) | المهرة وحضرموت"، المنظمة الدولية للهجرة، 26 تشرين الأول/أكتوبر 2023،
https://dtm.iom.int/reports/yemen-flash-alert-cyclone-tej-update-23-25-october-2023-al-maharah-and-hadramawt

وعلى الرغم من هذه التحديات، تعمل بعض منظمات المجتمع المدني والباحثين على إعادة صياغة النقاش الوطني حول المناخ والحوكمة البيئية. فقد أبرزت منظمة «حُلم أخضر للاستشارات البيئية» أن أكثر من نصف النازحين داخلياً في اليمن اضطروا إلى تبنّي آليات تكيّف ضارة (مثل بيع المواشي أو تقليل استهلاك الغذاء) نتيجة تفاقم الظواهر المناخية المتطرفة.[32] ودعت المنظمة إلى إنشاء خطة وطنية للاستجابة للكوارث وتعزيز الانخراط الدولي. كما طرحت الباحثة البيئية مها الصالحي مقترحات طموحة مماثلة، شملت إحياء قانون المياه المعلّق في اليمن، وتحديث تقنيات الري، وإعلان حالة طوارئ مناخية وطنية.[33] وأشارت إلى انهيار نظم المياه الجوفية كدراسة حالة لفشل مؤسسي، مؤكدة غياب الرقابة التنظيمية وتلاشي سلطة الدولة.

كما ذهب خبراء آخرون، مثل مهندس زراعي مقيم في عدن، إلى دراسة كيفية مساهمة التدهور البيئي بشكل مباشر في العنف والصراع. إذ يربطون تصاعد النزاعات على الأراضي بتآكل أنظمة فضّ النزاعات العرفية والانهيار شبه التام للمؤسسات القضائية.[34] فقد أدت موجات الجفاف والفيضانات إلى طمس حدود الملكيات، وتدمير الأراضي الزراعية، وإشعال نزاعات حول الوصول إلى المياه. وفي بعض الحالات، حمل أفراد السلاح للدفاع عن أراضيهم في مواجهة اعتداءات من ميليشيات أو مجتمعات مجاورة، ما يوضح كيف يمكن أن تؤجّج آثار المناخ حالة

32. محمد الحكيمي، أماني محمد، ومها الصالحي، «تحت رحمة المناخ: تأثير تغير المناخ على النازحين داخليًا في اليمن»، حلم أخضر للدراسات والاستشارات البيئية، 15 شباط/فبراير 2025،
https://holmakhdar.com/en/publications/the-impact-of-climate-change-on-idps-in-yemen

33. مها الصالحي، «اليمن: استنزاف المياه الجوفية والحلول المتاحة»، حلم أخضر للدراسات والاستشارات البيئية، 18 أيار/مايو 2022،
https://holmakhdar.org/reports/6008

34. مقتبس من مقال هانا بورتر، «الصراع وضعف الحوكمة يُفاقمان الأزمة البيئية في اليمن»، معهد دول الخليج العربية، 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2023،
https://agsi.org/analysis/conflict-and-weak-governance-fuel-yemens-environmental-crisis

انعدام الأمن في ظل غياب حماية الدولة.

في محافظة لحج، أظهر استطلاع أجرته مجموعة ARK عام 2023 أن 50% من المشاركين من سكان المناطق الريفية اعتبروا التصحر من أخطر التهديدات التي تواجه مجتمعاتهم.[35] ومع ذلك، لم تتحول هذه المخاوف إلى سياسات إقليمية أو وطنية.[36] ولملء هذا الفراغ، قاد جيل جديد من الناشطين مبادرات مستقلة للتثقيف والتنظيم والاستجابة لانهيار البيئة. ففي تعز، وثّق فيلم قصير عُرض في مهرجان Women Deliver 2023 حملات مجتمعية لمكافحة التلوث قادتها نساء محليات، من بينهن المهندسة ارتقاء أمين القباطي.[37] وقد أظهر الفيلم كيف طوّرت المجتمعات حلولاً صغيرة النطاق لإدارة النفايات والتقليل من المخاطر الصحية في ظل غياب الخدمات العامة.

وفي صنعاء، أطلقت الناشطة الشابة إشراق السويدي حملة تعليمية لإدماج الثقافة المناخية في المدارس المحلية، مستخدمةً مسابقات طلابية شهرية وأنشطة تفاعلية لرفع مستوى الوعي.[38] أما في عدن، فقد قادت الناشطة إيثار فارع مشروعاً للأمم المتحدة لتحويل النفايات العضوية إلى سماد، بما يعزّز الأمن الغذائي ويدعم الزراعة المستدامة.[39]

35. المرجع نفسه
36. أفراح ناصر، «تغير المناخ: ساحة معركة جديدة في الصراع المستمر في اليمن»، المركز العربي – واشنطن دي سي، 6 أيلول/سبتمبر 2024، https://arabcenterdc.org/resource/climate-change-a-new-battlefield-in-yemens-ongoing-conflict
37. صلاح بن غالب، «فيلم يمني يفوز بجائزة دولية للمناخ»، المشاهد، 30 أيار/مايو 2023، https://almushahid.net/114507
38. "إشراق السويدي وإيثار فارع، شابتان يمنيتان، تتصديان لتغير المناخ من خلال أفكار إبداعية تُحدث فرقًا في مجتمعهما»، أخبار الأمم المتحدة، 23 تشرين الأول/أكتوبر 2022، https://news.un.org/ar/interview/2022/10/1113517
39. "شباب يمنيون يُساهمون في الحد من تغير المناخ من أجل عالم مستدام»، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 20 أيلول/سبتمبر 2022، https://www.undp.org/arab-states/stories/yemeni-youth-help-prevent-climate-change-sustainable-world

كما برزت استجابات أخرى في القطاع الإعلامي. ففي عام 2023، أطلق مركز الدراسات والإعلام الاقتصادي،[40] ومقره تعز، شبكة الصحافة للمناخ والتحول الطاقي بهدف تعزيز التغطية المحلية للقضايا البيئية.[41] وتربط هذه الشبكة بين الصحفيين والباحثين والخبراء لرفع الوعي العام وتوثيق الأضرار البيئية. ويصف مؤسسها، مصطفى نصر، هذه الجهود بأنها وسيلة لـ«بناء قدرة محلية على التكيّف المناخي». وقد أبرز أعضاء الشبكة، ومنهم الصحفي إيهاب زيدان، أن نقص التدريب في مجال الصحافة البيئية يشكّل عقبة كبرى أمام إشراك الرأي العام. ورغم محدودية نطاق هذه المبادرات، فإنها تعكس كيف يتعاون الفاعلون المحليون في صياغة حلول تتناسب مع سياقاتهم.

ومع ذلك، فإن عمل الناشطين والصحفيين ينطوي على مخاطر، إذ يُنظر إلى الدعوة البيئية على أنها تحمل أبعاداً سياسية محتملة. وقد أوضح أحد أعضاء شبكة الصحافة قائلاً: «عليك دائماً أن تحسب ما تقول... فإذا اعتقد الحوثيون أو الحكومة [اليمنية] أن الأمر سياسي، قد تجد نفسك في مأزق».[42] والمراقبة أو المضايقة أو حتى العنف ليست حوادث نادرة، خصوصاً حين ينتقد الناشطون تقاعس الدولة أو التدمير البيئي في المناطق المتنازع عليها.

وفي مثال لافت اكتسب غطاءً من الشرعية، عقدت السلطات المحلية عام 2023 مؤتمراً حول التحديات والحلول المناخية. واستضافت مدينة المكلا هذا المؤتمر الذي جمع ممثلين عن هيئات حماية البيئة في اليمن، ومكاتب الزراعة والموارد المائية، ومنظمات محلية ودولية من محافظات حضرموت والمهرة وشبوة. وقد شدّد المشاركون على غياب الموازنات

40. مركز الدراسات والإعلام الاقتصادي، منظمة مجتمع مدني يمنية متخصصة في قضايا البحث والإعلام المتعلقة بالشؤون الاقتصادية

41. "الإعلام الاقتصادي يُعلن عن شبكة صحافة المناخ في اليمن»، المشاهد، 28 تشرين الثاني/نوفمبر 2023،

https://almushahid.net/118955

42. المرجع نفسه

التشغيلية والكوادر الفنية والتنسيق بين الوكالات، وطوّروا مجموعة من التوصيات العملية.[43] ورغم أن هذه الجهود التكنوقراطية التدريجية حظيت باهتمام بعض نشطاء القاعدة الشعبية، إلا أنها تمثل شكلاً أكثر هدوءً من أشكال المناصرة، متجذراً في الحوكمة المحلية، ويسعى إلى تعزيز الاستجابات المؤسسية للتهديدات المناخية المتصاعدة في اليمن.

لقد استنزفت سنوات الحرب إيرادات الدولة، فيما لا يزال المانحون الدوليون مترددين في الانخراط بشكل جاد مع الانهيار البيئي في اليمن، مفضّلين التركيز على الإغاثة الإنسانية قصيرة الأمد. وفي هذا السياق، يعمل الحراك المناخي اليمني بوصفه شكلاً من المقاومة وأداة للمرونة في آن واحد؛ فهو يعالج الأضرار البيئية المباشرة، وفي الوقت نفسه يستعيد للمجتمعات إحساسها بالقدرة والفاعلية. سواء في قاعات الدراسة، أو في المزارع، أو عبر الاستجابة الطارئة للفيضانات، يملأ الناشطون الفراغ الذي خلّفه إهمال الدولة، مستندين في عملهم إلى الحقائق اليومية للصراع والأزمة المناخية.

الخاتمة

تبرز حالتا العراق واليمن الكيفية التي يتفاعل بها التدهور الناجم عن التغيّر المناخي مع الإخفاقات العميقة في الحوكمة وحالة عدم الاستقرار الممتدة، بما يفاقم معاناة المواطنين ويغذّي سخطاً متصاعداً. وعلى الرغم من هذه التحديات، لا يزال المواطنون يواصلون التعبئة، كاشفين من خلال استجاباتهم عن إمكانية أن يتحول الحراك المناخي إلى وسيلة للمطالبة بالعدالة والمساءلة والإصلاح على نطاق أوسع.

في العراق، أصبحت المخاوف البيئية محوراً متزايد الأهمية في سياسات

43. حسن شجاع، «كيف تستجيب السلطات المحلية في اليمن لآثار أزمة المناخ»، مؤسسة بيرغهوف، 5 كانون الأول/ديسمبر 2023،
https://berghof-foundation.org/news/how-local-authorities-in-yemen-respond-to-the-effects-of-the-climate-crisis

الاحتجاج، لا سيما في مرحلة ما بعد عام 2018. فقد ربط الناشطون بين ملوحة المياه (وتسممها)، وحرارة الصيف القاتلة، وسوء إدارة الموارد، وبين إخفاقات نظام سياسي تشكّل على أسس المحسوبية الطائفية وهيمنة الاحزاب. أما في اليمن، حيث يبدو النشاط الرسمي شبه مستحيل في معظم أنحاء البلاد، فقد برز شكل أكثر هدوءاً من الحراك البيئي، لكنه لا يقل طابعاً سياسياً، من خلال جهود مجتمعية للحفاظ على الزراعة، وإدارة المياه، والتكيف مع أنماط الطقس المتغيرة. وما يربط بين هذين السياقين هو الطريقة التي يتفاعل بها التحدي المناخي مع أشكال السلطة السياسية المتدهورة. ففي كلا البلدين، الأكثر تضرراً من تغير المناخ هم أيضاً الأقل قدرة على التأثير في إدارة الموارد أو اتخاذ القرارات. هشاشتهم ليست بيئية فحسب، بل سياسية أيضاً. ومع ذلك، يشير هذا النشاط-سواء اتخذ شكل احتجاجات عامة، أو تنظيمات شعبية، أو مبادرات محلية لتعزيز القدرة على الصمود-إلى أن التعبئة الهادفة يمكن أن تظهر حتى في أقسى الظروف.

إن النظر إلى العراق واليمن معاً يشكّل تحدياً للفرضيات السائدة حول مكان وكيفية تبلور النشاط المناخي، حتى إذا لم يرتقِ هذا النشاط إلى مستوى التنظيم الذي تشهده الديمقراطيات الراسخة. بمعنى آخر، قد لا يقتصر النشاط المناخي دائماً على الدول القوية أو الديمقراطيات الليبرالية، ولا يتخذ دائماً شكل حركات جماهيرية واضحة. بل يمكن أن ينشأ في سياقات تُعاني من حوكمة مجزأة، حيث تكون المخاطر في أقصاها، وحيث تكون الاحتياجات الأساسية-مثل الوصول إلى المياه والصحة والبقاء-ذات إلحاح بالغ. في مثل هذه البيئات، يصبح النشاط المناخي وسيلة لمواجهة الأضرار البيئية، وأيضاً لمواجهة الهياكل القائمة على العنف والإهمال التي تسمح باستمرار هذه الأضرار.

المصدر:

https://carnegieendowment.org/research/2025/08/iraq-yemen-climate-activism-environmental-protest?lang=en

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org